٩ عيد الخمسين اي العنصرة

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١): عيد الخمسين وهو العنصرة يعملونهُ بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون انَّ الروح القدس حلَّت في التلاميذ شبه ألسنة نارية وتفرَّقت عليهم ألسنةُ الناس فتكلَّموا بجميع الالسنة وراح كلّ واحدٍ منهم الى بلاد لسانهِ الذي تكلَّم به يدعوهم الى دين المسيح »

وقال ابو الفداء في تاريخهِ (١ : ٦٩) : « عيد الفنطي قُسطي وهو يوم الاحد بعد السلّاقسا بعشرة أيّام واسمهُ مشتقّ من الخمسين بلسانهم (١ وفيهِ تجلّى المسيح لتلامذتهِ (٢ وهم السليحيُّون (٣ ثم تفرَّقت السنتهم وتوجَّهت كلّ فرقةٍ الى موضع لغتها »

هذا مجمل ما وجدناهُ في تآليف المسلمين وفيهِ كما ترى اشياء كثيرة موافقة للاناجيل والتاريخ ومنها غيرها ما لا يتَّفق معها نُقلت غالباً من اناجيل الزور التي وصفناها سابقاً في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ١٩٠)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

الكاهن والاسقف

﴿ المسيو بيكه في رومية ﴾ لما وصل المسيو بيكه رومية نزل في قصر مجمع

---

١) اللفظة يونانية (πεντηκοστή) ومعناها الخمسون

٢) بل بالاحرى تجلّى الروح القدس الذي يُدعى ايضاً بالبارقليط المرسَل من ابيهِ السيد المسيح كما وعدهم فحلّ عليهم بشبه السنة نارية

٣) السليح كلمة سريانية معناها الرسول

انتشار الايمان حيث قدّموا له كل لوازم الضيافة وقد احتفى به كل الاحتفاء. كاتب اسرار المجمع وجميع رؤساء الدوائر والكهنة وبعد ان استراح من تعب السفر تشرّف بالتبرك بلثم اقدام قداسة البابا اسكندر السابع الذي استقبله بكل هشاشة وحبّ واكرام ذاكرًا له خدمه في جنب الكنيسة. ثم سأله عن احوال الديانة في البلاد المشرقية وعن الوسائل لنمو الايمان ورسوخه في القلوب. فبسط رجل الله لدى قداسته مفصّلاً كل ما سُئل عنهُ مما يختص بالحالة الحاضرة والوسائل اللازم اتخاذها لثبات المؤمنين. وكان قداسته يسمع له مرتاحاً الى حديثه مدة ثلاث ساعات. ثم ارسله بحسب العادة المألوفة الى المجمع ليطرح على بساط البحث كل ما يريد بسطه

وبينما هو في رومة اتاه من والده السيور جوفروا، الذي كان اعتنق الحالة الاكليريكية، كتاب فيه يعين له المجعول (البنفيش) الذي ذكرناه سابقاً غير انهُ لم يكن مرتاح الضمير والبال من جهة قبوله درجة قصّ الشعر من يد البطريرك اندراوس لانه اقدَمَ عليها من دون الاذن من اسقفه الشرعي فلزم ان يصحح هذا النقص في ٢٧ اذار سنة ١٦٦٢ بعد التماس الأذونية من اسقف ليون لانه من رعيته

ولما ثبتت عزيمته ورسخت قدمه في الحالة الاكليريكية تفرّغ الى تشرّب الروح الكهنوتي في تلك المدينة المقدسة وذلك بمجالسته ومعاشرته الاشخاص المتازين بتقواهم وعلمهم اذ كان يرتشد بكلامهم وامثلتهم. وقد تعلّق بالاخص بكاهنين فاضلين من اساتذة مدرسة البروغنده هما الاب باتريسيو (Patritio) الملفان في اللاهوت واستاذ الحق القانوني والاب فابريس بوليشي (Fabrice Pauluci) ودامت مواصلتهُ اياهما مدى الحياة. وكان كلاهما يعتبر جدًا فضيلة السيور بيكه ولا يخشيان ملاماً في قولهما انهُ قديس

ولما انفكّ رجل الله بيكه ان يُربي فيه شاعرة التقوى والعبادة مدة اقامته في رومية بزيارته الديامس حيث مدافن الشهداء وتردده الى جميع المحال المقدسة في داخل المدينة وفي خارجها. ثم قام بواجب الزيارة للكرادلة ولجميع حاشية البلاط البابوي الذين في مجالستهم اياه تحققوا بالفعل ما كانوا يسمعونه عنه. وتعرّف الى كثيرين من الاحبار ولم تكن غاية صداقته لهم الّا ليوصيهم بكنيسة حلب

وفي ٢٨ ايار حضر جلسة عقدها اعضاء المجمع المقدس بسط فيها كل ما عرضهُ

على البابا مما يختص باحتياجات ومهام كنائس الشرق. وقد امر نيافة الكردينال (Alberici) تلاوة الرسالة التي كتبها بطريرك السريان في حلب الى المجمع عن سفر المسيو بيكه كما ذكرت آنفاً فارتاح الكرادلة الى سماعها والى مطاليب بيكه في شأن تلك الكنائس ولاسيما كنيسة حلب

وبعد ان قام بهمته تزوّد ببركة الاب الاقدس الذي ودّعه كما استقبلهُ بالعطف والاكرام وانعم عليه بلقب حاجب بابوي فغادر رومة الى فرنسا في اول حزيران وزار في طريقه كنيسة سيدة لوريت بشعائر الخشوع والاحترام. كما زار سيدة اللانكة في آسيز وضريح القديس انطونيوس في بادوا

ووصل اخيراً ليون في اواخر السنة فاستقبله ابوه بما لا يمكن اللسان ان يصفهُ من عواطف الحب والفرح وهرع الى زيارته جميع اعيان المدينة وما كانوا يشبعون من رؤيته ومحادثته واكرامه معجبين بوطنيته وفضيلته

وما لبث طويلاً حتى ذهب الى استلام املاكه التي منها محمولهُ. ثم اتى مرسيليا لمجاورة بعض اصدقائه الذين مرّ بهم في حلب. ومنهم المسيو فرنسوا مازول (المسمى بابا) ومرضيته المسيو الذي توفي في ٢٠ ايلول ١٨٥٠ وكان بيكه كان يحبهم وهو ضرير ما تصل اليه يدهُ من المذكرات التي ساعدت كثيراً على تأليف ترجمته هذه

واذ كان في مرسيليا اتاه احد المسلمين ومعه ولداه كان قد وجّه بهم اليه من حلب خلفهُ المسيو بارون لانهم رغبوا ان يتنصّروا. وكان ذلك الرجل قد ضحّى بجميع امواله وبوظيفة كانت لهُ في جيش السلطان قام فيها نحو ٣٠ سنة فتخلّى عنها قصد ان ينضمّ الى دين يسوع المسيح. فتبناه بيكه باحشاء المحبة وسرّ بهِ كثيراً وهمّ في ان يعوّضهُ من كل ما تركهُ اكراماً ليسوع المسيح

﴿سيرة المسيو بيكه الصالحة في وطنهِ وقبرهُ الدرجات المقدّسة﴾ كان المسيو بيكه يكره العيشة العالية وفرضاءها فاعتزل عن مدينة ليون وسكن في البستان الذي قدّمهُ لهُ ابوهُ فعاش في الزهد والتقى. لكنّ عرف فضيلته زاد انتشاراً فقصدهُ ذوو الصلاح ليستفيدوا من تعاليمهِ وامثالهِ ومن جملتهم احد الكهنة الافاضل المدعو برشاردر الذي كان يزارهُ غيرةً وتُقى فقضيا الساعات الطوال في المناجيات الروحيّة

وكان اصدقاء المسيو بيكه يلحّون عليه بقبول الدرجات المقدسة فتردّد في الامر طويلًا وهو لا يرى نفسهُ اهلًا لها الى ان رضخ لمشورة مرشدهِ فسافر الى مرسيليسة واختلى مدّة في مدرستها الاكليريكيّة استعدادًا لتلك النعمة وفي ٢٢ك١ سنة ١٦٦٣ منحهُ مطران مرسيليسة السيد اسطفان بوجيت (Puget) الدرجات الصغرى مع الشدياقيّة الرسائليّة

وفي ٧ حزيران من السنة التالية اقتبل درجة الدياكونيّة اي الشماسيّة الانجيليّة وسيم كاهنًا في ١٣ من السنة نفسها. وهو في كلّ هذه المدة غائص في بحر التأمّلات يستعظم نعم الله اليه ويتفانى تذلّلًا وتواضعًا امام العزّة الالهيّة معلنًا بحقارتهِ ودناءتهِ. ولم يشأ ان يقدّم ذبيحتهُ الاولى الّا بعد ان خصّ لها اسبوعين مستحرًا بالصلاة ومنكبًّا على اعمال العبادة والتقشّف فاحتفل بالقدّاس الاوّل في ٢٦ تموز في كنيسة المدرسة الاكليريكيّة المذكورة. وفي الرسائل التي كتبها في تلك الآونة ادلّة باهرة على سموّ فضيلتهِ وعمق اتضاعهِ وشكرهِ للرب الذي دعاهُ الى تلك الدعوة الجليلة. وقد شهد معارفهُ انّ حياتهُ منذ ذاك الحين اصبحت اشبه بحياة ملاك منها بانسان

﴿اعتبار ارباب الدنيا والمدين لبيكه﴾ ومع انّ بيكه كان يكاد لا يرى لنفسهِ فضلًا كانت عيون رؤساء الكنيسة وارباب الدولة متّجهة اليهِ. فانّ كولبرت وزير الملك لويس الرابع عشر ارسل اليهِ يطلب مشورتهُ في احوال تركية التي كانت في اثناء ذلك طامعة بفتح بعض البلدان فتهدّدت مملكة النمسة فاستنجد امبراطورها بتلك فرنسة. فكتب بيكه في ذلك تقريرًا واسعًا بيّن فيهِ حقيقة الامور واوضح للوزير الخطّة التي يجب ان تجري عليها فرنسة مع النمسة لحفظ شرفها وصوناً لدين نصارى الشرق ونجاتهم من ظلم ولاة الاتراك واوضح في تقريرهِ بنودًا تُطالَب بها تركيّة في معاملاتها مع سفراء فرنسة وتجّارها لحفظ امتيازاتهم الممنوحة بمعاهدات سابقة

وممن استنار بانوار بيكه للوقوف على آرائهِ السديدة الكردينال شيجي (Chigi) ابن شقيق البابا اسكندر السابع وكان اتى الى فرنسة بصفة قاصد لدى الملك لويس الرابع عشر فاجتمع في مرسيلية ببيكه وابدى لهُ كل عطف وارتياح على مثال عمهِ الحبر الاعظم وانقاد الى آرائهِ في عدّة امور وأنالهُ ما طلبهُ بشأن رجل ارمني كان

اسيرًا في رومية فأطلق سراحهُ واعادهُ الى وطنهِ

والى الاب فرنسوا بيكه التجأ تجّار مرسيلية ليقنعوا على صحّة شكايات رفعها بعض الفرنسويين من حلب على المسيو بارون خلفهِ في القنصليَّة فازال تلك التُّهم وبيَّن براءة القنصل وحسن سياستهِ واثبت ان تلك المدَّعيات الباطلة لقوم من ذوي الغايات السافلة فأذعن اليهِ أولو الامر واثبتوا المسيو بارون في منصبهِ

على انَّ الملك لويس الرابع ووزيرهُ كانا يفضّلان رجوع بيكه الى حلب فطلباهُ الى باريس وفاوضهُ الوزير في الامر وكانت الدوقة داغويليون المحسنة اليهِ تؤيد رأي الوزير وتعدّد خدمات بيكه للدين والوطن معًا في مدَّة قنصليَّتهِ

امَّا بيكه فانَّهُ كان يجد في كهنوتهِ مانعاً من الرجوع الى ذلك المنصب الجليل لئلَّا يتلبَّك بامور العالم. لكنهُ لم يشأ ان يبتَّ الامر بنفسهِ بل رجع الى مرشده الاب باتريسيو وطلب اليهِ رأيهُ في رجوعه الى القنصليَّة وسألهُ ان يتخابر في ذلك مع اصحاب الصلاح والرَّي مصرّحاً عن استعدادهِ للانقياد الى مشورتهم وهو لا يطلب سوى [illegible] الدين. ثمَّ تأجل الامر وأمرهوا عن بيكه بعد ان برَّأ صديقهُ وثبَّت [illegible] من كل ما نسب اليهِ زورًا وابقاهُ في منصبهِ معزَّزًا ومكرَّمًا

﴿اهتمام الاب بيكه بكنائس الشرق﴾ لم يشأ الاب بيكه ان يصرف نظرهُ عن خدمة الشرقيين وهو بعيد عنهم فسعى الى جمع الحسنات لطوائف حلب ولمَّا التأم المجمع العام الذي عقدهُ الاكليروس الفرنساوي في ذلك الحين بسط امامهم ما كان عليهِ المسيحيون في حلب من الفقر المدقع فتوفَّق لجمع مساعدات وافرة ارسلها الى رؤسائهم وكذلك عُني بإسعاف المرسلين في بلاد الصين فأجيب الى طلبهِ

وكان في زمن اقامتهِ في ليون جاعلًا بيتهُ منزلًا للكهنة الغرباء الآتين من الشرق والمرسلين المارّين في وطنهِ وكانوا جميعهم يجدونهُ كريمًا مضيافاً يقوم بسائر حاجاتهم. وكثيرًا ما كانوا يلوذون بهِ ويلتمسون حمايتهُ لدى ارباب الدولة فيعضدهم بما لديهِ من النفوذ. ومن آثار غيرتهِ انَّهُ ساعد الاب قزما (Morizio Côme) احد كهنة الروم لجمع الصدقات في ليون وفي باريس ليفتح في الاسكندريَّة مدرسةً لطائفتهِ. ثمَّ اشار عليهِ ان يذهب الى رومية واوصى بهِ قداسة البابا والكردلة فلاقى منهم

كل عطف ورعاية لولا ان الظروف لم تسمح لهُ بتحقيق امانيه

ولـلاب بيكه تخلصةٌ اخرى جليلة قدّمها للكنائس الشرقيّـة بل للكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء. وذلك انَّ احد دعاة البروتستانت وزعمائهم جان كلود (Jean Claude) كان ألّف كتاباً شحنهُ بالاضاليل المنافية للمعتقدات الكاثوليكيّـة. وخصوصاً لسرّ القربان الاقدس وادّعى في اثناء كلامهِ انَّ الكنائس الشرقيّـة تنفي وجود السيّد المسيح في هذا السرّ. فتصدّى لهُ بعض الكتبة وألّفوا كتاباً زيّفوا فيه تلك الاكاذيب دعوهُ الديمومة في الايمـان (Perpétuité de la Foi) كان متولّياً نشرهُ الجنسانيّ انطوان ارنود (A. Arnaud). فبلغ الخبر الاب بيكـه فكتب اليهِ من ليون في ٢٦ آب سنة ١٦٦٧ ما تعريبهُ:

« عرفتُ انك تهمّ في طبع كتاب جليل في الدفاع عن سر القربان ضد الاضاليل والاكاذيب التي شحنها الواعظ كلود كتابه ضد ثبات وديمومة الايمان بهـذا السرّ العظيم. فرأيتُ ان من واجباتي ان انبّهك الى ادّعاء الباطل في قوله ان المسيحيين الشرقيين لايعتقدون حقيقة وجود المسيح في القربان وذلك كذب وبهتان لانه من المؤكد الثـابت ان جميع مسيحيي الشرق حتى الفراطقة منهم المعتضين ضد الكنيسة الرومانية يعتقدون كحقيقة ايمانيةٍ وجود يسوع المسيح في الافخارستية واستحالة الخبز والخمر الى جسده ودمه الاطهرين على اثر كلام التقديس حالاً. فاني اقمتُ بين اظهرهم تسع سنين ودارت بيني وبينهم المجادلات المتنوعة وكثيراً ما دخلتُ كنائسهم ورأيت فيها سرّ القربان مصنوعاً ومعبوداً ومكرماً تحت شكلي الخبز والخمر يسجدون لهُ سجودهم لله نفسه. واذا اراد خصمنا شهادات مكتوبة اتيتهُ بها عديدةً من جميع بطاركة الطوائف من روم وارمن وسريان ويعـاقبة ونـاطرة ومن الاقباط الذين يعتقـدون الحقيقة عينها. وكانت اعظم مذمّة عندهم لبعض الافرنسيين الكلوبيين ان ينتموا باسمهم جاحدون تلك العقيدة الثابتة واني آمل ان تأتي هذه الشهادات طبق مرادك ومراد السادة معاونيـك في ابراز تأليف هام للكنيسة، فانتي لهُ رواجاً عند جميع المسيحيين وفوزاً واتصاراً للحق على الباطل ». . .

ولما وقف المسيو ارنود(١ وهو من عمدة ذلك المؤلف الجليل، على اقتراح المسيو بيكه بعد ان كان عرف مكانته وشهرته في البلاد الشرقية اتخذها فرصة سانحة

١) انطوان ارنود أحدُ اللافوتيين الجانسنيين ولد في باريس ١٦١٢ وتوفي في بروكسل. اورد رسالة بيكه الاولى في كتابه الخامس الذي فيه الى بالادلّة الصريحة على اتفاق الكنائس الشرقية مع الكنيسة اللاتينية في حقيقة سرّ الافخارستية

بها طلب منه ان يأتيهُ بكتابات من اولئك البطاركة تثبت معتقدهم في سر الافخارستية فكتب حالًا الى بطاركة حلب واتاه منهم ثلاث شهادات على احسن صورة: الاولى من بطريرك الارمن بتوقيع ثلاثة اساقفة وكثير من وجهاء وكهنة طائفته، والثانية من الطائفة السريانية بتوقيع البطريرك اندراوس واهمّ خورانة حلب وكهنتها والثالثة من نائب بطريرك الروم العام لغيب البطريرك نفسه. وبهذه الشهادات اقرار صريح ان تعليمهم كتعليم الكنيسة الرومانية نفسه في الافخارستية. فارسل المسيو بيكه تلك الشهادات الى طالبها مع رسالة بتاريخ ١٧ آب سنة ١٦٦٨ فيها يبيّن صفات موقعيها والاسباب التي منعت بعض البطاركة من التوقيع بانفسهم وألمع بالاخصّ الى ان مقدّمي تلك الشهادات وان كان بعضهم من خصوم الكنيسة الكاثوليكية والمنفصلين عنها فهم على اتفاق تام معها في حقيقة سر القربان

فكان المسيو ارنود مقتنعاً بتلك الشهادات وقد ذكر في الكتاب ١٢ من مؤلفه رسالة بيكه مع الشهادات كلها (راجع الديرمة في الايمان ك٥ صفحة ٥٤٩ وك١٢ صفحة ٨٢) ونُسخ تلك الشهادات محفوظة في مكتبة سان جرمان في باريس اثرًا حيًا يشهد بغيرة المسيو بيكه وبصدق معتقد الكنيسة الشرقية واتفاقها مع الكنيسة الغربية في تلك الحقيقة الجوهرية

وهو ايضاً الذي سعى الى إلغاء كتاب آخر باسم رجل يدعى انستاس ضمّنهُ القدح بتعاليم الكنيسة الرومانية فتمكّن من جمع نسخهِ وملاشاتها فوق كثيرين من البطاركة السقوط في اشراك المبتدعين

﴿ مرض الاب بيكه ووفاة والده ﴾ وكان بيكه مع مخافة جسمهِ ينكبُّ على الاشغال المختلفة بنشاط عظيم لم يكترث لما يتهدّدهُ من انتهاك القوى ففي السنة ١٦٦٦ اعترتهُ حمّى خبيثة لازمتهُ نحو سنة كاملة وهو يواصل اشغالهُ بحزم عجيب لاسيما خدمتهُ لراهبات الزيارة اللواتي كنَّ اتخذنهُ كمرشد لهنَّ يلقي عليهنَّ العظات في اوقاتٍ معيَّنة ويُعنى بتدبيرهنَّ الروحي فقضى بخدمتهنَّ اربع سنوات

وكثيرًا ما كان الاب بيكه يذهل عن امورهِ الشخصيَّة ليهتمّ بوالدهِ الجليل الذي كان اربى على الثمانين فكان لا يدّخر وسعاً في خدمتهِ وبالخصوص لما رآهُ قد ادركتهُ العلل في اواخر سني حياتهِ فقام بجميع ما تقتضيهِ واجبات أبرّ الابناء نحو

والده حتى آخر انفاسه وتعزّى بان رآهُ مسلماً الروح بين ذراعيه مزوّداً بجميع اسرار البيعة مبدياً من عواطف التقى ما يدلُّ على رسوخهِ في الفضيلة وقدّم لراحة نفسهِ الصلوات الحارّة والذبائح الطاهرة

﴿ عيشتهُ الكنسيّة ﴾ ثمَّ عُني بامر شقيقتهِ فتنزّل لها عن معظم ارث ابيهِ وقرنها بسرّ الزواج باحد وجهاء مدينة ليون وفضلائها السيو دي لاشنبر . واذ رأى نفسهُ مُعتقاً من هموم الدنيا انحاز الى مدرسة القديس ايريناوس الاكليريكيّة فقضى فيها سنةً تفرّغ في مدّتها للصلاة والدرس طالباً الى الله ان يلهمهُ الطريقة التي يريد ان يسلكها لخدمتهِ تعالى وخلاص القريب . ثمَّ رأى في شوارع ليون وطنهِ عدداً عديداً من الفقراء والعمّال منهمكين في امور دنياهم لا يكادون يفكّرون في شؤون نفوسهم فاخذ يجمع صغارهم فيلقّنهم مبادئ الدين ويعلّمهم الصلوات ويتصدّق الى اهلهم بما بقي لهُ من مجعول ابيهِ ويدعوهم الى حضور الرتب الكنسيّة واستماع المواعظ وكثيراً ما كان يلقي عليهم الارشادات التقويّة فارتدَّ كثيرون منهم الى التوبة عن يدهِ

ومن اعمالهِ المبرورة انّهُ زيّن كنيسة رعيّتهِ بالآنية الثمينة واقام بقربها داراً لسكنى الكهنة وخدّام الكنيسة وجعل بيتهُ موئلاً للتعساء ومستشفى للمرضى وملجأً للفتيات اللواتي انتدب لتعليمهنَّ احدى السيّدات . واذ رآها متوانيةً في مهنتها حوّل المدرسة الى مأوًى لاعانة الفقراء . وكان في كل تصرّفه مثال الوداعة واللطف صابراً على الاهانات والشتائم محسناً الى اعدائهِ ومبغضيهِ

وقد امتحنهُ الله في تلك الغضون ببلايا شتى تلقّاها من يد الله بالصبر الجميل لاسيما اذ بلغهُ انَّ رأس مالهِ الذي تركهُ في حلب عند تنزّلهِ عن القنصليّة فُقد تماماً بسوء معاملة تجّارها فتحمّل ذلك دون تذمّر راضياً بأحكام الله

واستاء خصوصاً مما اخبروهُ عن احد الكهنة الشرقيين المسمّى نعمة الله راشد فانهُ اذ كان متوجّهاً الى فرنسة وقع اسيراً في ايدي القرصان فبذل الاب بيكه غاية المجهود لينقذهُ من هذه المحنة الى ان تمكّن من جمع ثلثمائة ليرة من اصحابه اضاف اليها ٧٠٠ اخرى من ماله الخاص فافتداهُ من اسرهِ . فقدم الكاهن الى ليون ليشكر المحسن اليه . فانزلهُ بيكه في بيتهِ شهراً كاملاً ثمَّ ارسلهُ الى رومية ليشكر المجمع

المقدّس ثمّ يعود الى حلب ليشتغل فيها في خير مواطنيه وردّ الضالّين منهم الى حجر الكنيسة

فكانت اعمالهُ هذه تزيد اعتبارهُ في قلوب جلّة الاكليروس وسألهُ السيد غريغوريوس امين سرّ الكردينال ريشليو ان يتتلمذ لهُ ويسترشدهُ لامره فعاشا زمناً عيشة النسّاك يتسابقان الى مراس اسمى الفضائل الكهنوتيّة

﴿الاب بيكه ورسالة اليسوعيين في العجم﴾ ذاع في الشرق خبر اهتمام بيكه بالرسالات الكاثوليكيّة ومساعيهِ في إسعافها وكان لليسوعيين رسالة في العجم ردُّوا فيها الى الكنيسة كثيرين من اهلها الارمن الغريغوريين . فاخذوا يكاتبون الاب بيكه يوصونهُ بامورهم ويطلبون مساعدتهُ لسدّ حاجاتهم . وفي ترجمة الاب بيكه رسالة من رئيس دير اصبهان الاب مرسيه (P. Mercier) الى بيكه في السنة ١٦٧٣ يثني فيها على غيرة كاهن ارمني مولود حلب يدعى «ثيـديك» كان تخرّج في مدرسة انتشار الايمان في رومية فارسلهُ المجمع المقدس الى العجم ليساعد المرسلين في خدمة الارمن غريغوريين فردّوا منهم عدداً وافراً دل اقترابهم لبطريركهم صحّة المعتقدات الكاثوليكية فاجتذبوهُ الى الايمان واقنعوهُ بالذهاب الى رومية في صحبة بعض الاساقفة لاداء الطاعة للحبر الاعظم . فطلب الاب مرسيه مساعدة بيكه لتسهيل سفر البطريرك لئلّا يستاء من غيابهِ شاه العجم ويرجوهُ ان يتوسّط لدى ملك فرنسة في باريس والحبر الاعظم في رومية كي يكاتبا ملك العجم في امر هذا البطريرك وينالا رضاهُ في سفر البطريرك المذكور

فتلقّى بيكه هذه الاخبار بل المسرّة ثمّ اخذ يسعى لهذا الامر الخطير لدى اصحابهِ في رومية وفي باريس ليطلعهم على ما اخبرهُ بهِ المرسلون وبعد التروّي في الامر اتّفق مع المجمع المقدّس على مكاتبة البطريرك وتحريضهِ على البقاء في بلادهِ بين شعبهِ ليجذبهم بكلامهِ ومثالهِ الى الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكيّة ونبذ اضاليل الارمن الغريغوريين وهو يعدهُ بخدمتهِ وبالنظر في شؤونهِ

وممّا فكّروا فيهِ وقتئذٍ ان تُفتتح في رومية مدرسة خصوصيّة للارمن يتخرّج فيها نخبة من اولادهم حتى اذا اتقنوا فيها العلوم يرسلوا كهنةً يعودون الى اوطانهم ويشتغلون بارتداد اهلها الى كنيسة رومية امّ الكنائس

على انَّ هذه المدارس لو أُنشئت في بلاد الغرب لكانت معرَّضة لمشاكل مختلفة لبُعدها عن مواطن الارمن وقد خشي بيكه من ان تكون ايضاً تلك المدارس هدفاً لاضطهاد يثيره غير المؤمنين او المراطقة او تُفتح مدة يسيرة ثم تبطل لخلوها من المساعدات المالية كما حدث لمدرسة تفليس التي انشأها الآباء الكبوشيون باغراء احد افاضل الفرنسويين السيد غرولت (Grelot) فسقطت بعد حين اذ لم تعضدها صدقات المحسنين. ومن ثم تأجل فتح تلك المدرسة

﴿بيكه وبطريرك الكلدان﴾ وممَّن التجأوا الى عناية بيكه في ليون سنة ١٦٧٢ الكلدان الكاثوليك المقيمون في ديار بكر فانَّ المرسلين الكبوشيين فيها توفقوا الى هداية كثيرين من النساطرة الذين جاهروا بايمانهم وادَّوا الطاعة للحبر الاعظم وكان في مقدمتهم رئيس اساقفة آمد يوسف الذي جحد البدعة النسطورية وكره اضاليلها واخذ يحضُّ ابناء ملَّته على اتباع مثله والخضوع للكرسي الرسولي ومواظبة الاسرار فبلغ امره بطريرك النساطرة الياً الثامن في الموصل فاسرع وقدم ديار بكر واخذ يفرغ كنانة جهده ليردَّ المتكثلكين الى النسطورية فلم يُفلح لا بالوعد ولا بالوعيد فاخذ يضطهدهم ولاسيما مطرانهم ورسولهم يوسف فعرَّضه لضروب المحن والمصادرات وسلَّمه الى ولاة الدولة مثيراً لغضبهم بالرشوة فزجُّوه بالسجن واذاقوه امرَّ العذابات لكنَّه ثبت في ايمانه. وقد نشرت مجلة المشرق (١٩[١٩٢١]: ١٢٤—١٣٨) ترجمة العجيبة لتلميذه باسيليوس عبد الاحد مطران آمد نحيل القرَّاء الى مراجعتها فيتحققون ما كان الكاثوليك يقاسونه في ذلك الزمان من اصناف العذاب في سبيل ايمانهم.

ثم تمكَّن هؤلاء المتكثلكون من اظهار صحة معتقدهم امام الدولة واختاروا لهم باذن الخبز الروماني يوسف رئيس اساقفتهم بطريركاً وهو الذي عُرف بيوسف الاوَّل. واخذوا يسعون في طلب تصديق السلطان انتخابه والاعتراف به بطريركاً مستقلاً بقرمان شاهاني. غير انَّ النفقة على هذا التقرير وقفت عقبة في سبيلهم فلجأوا الى الاب بيكه وسألوه ان يطلب لهم المساعدة من فرنسة ليفوزوا بمرادهم. فكتب رغم الضائقة المالية التي اصابت فرنسة على اثر حروب لويس الرابع عشر مع دول اوربة (١٦٧٣—١٦٧٨) يستدني اكفَّ اهل الخير والاحسان وسأل ايضاً المساعدة

من البروبوغندا فجمع اكثر من مائتي ليرة واودعها عند الرهبان الكبوشيين في الاستانة لاستخراج الفرمان السلطاني

وفي اثناء ذلك اتى يوسف الاول الى رومية ليخابر الحبر الاعظم في امر طائفته فارسل الاب بيكه الى اصحابه هناك يوصيهم بذلك الرجل الشهم ويطرى سموّ فضيلته وثباته في الايمان . وألحّ في إنالته مطلوبه ليرجع سريعاً الى كرسيّه لئلّا يحصل بتأخره ضررٌ لطائفته المرتدّة حديثاً . وكتب الى البطريرك يشجعه ويوطد رجاءه بادراك امانيه . واذ لم يكن مجموع المساعدات لطلب الفرمان كافياً لم يزل الاب بيكه يستنفد الوسع حتى جمع المبلغ اللازم وهو لم يقلّ عن الف وثمانمائة ليرة وحظي بالفرمان فجلس يوسف بالفخر والامان على كرسيّه في آمد واتى من الاعمال الشريفة ما ورد في سيرته السابق ذكرها وعاينها الاب بيكه عند مروره في ديار بكر كما سنذكره في وصف رحلته الى العجم

﴿انتداب الكرسي الرسولي للاب بيكه بصفة نائب رسولي للشرق﴾ انّ كل المساعي الطيبة والمآثر الجليلة التي كان يأتي بها الاب بيكه في سبيل الديانة والكنائس الشرقيّة كانت تستوقف ابصار المجمع المقدس وتدفعه الى انتدابه كنائب رسولي في جهات الشرق

واوّل ما حدا به الى تحقيق نيّته هذه انّه رأى السيد المسمّى بلاسيد لويس دو شمان (Placide Louis du Chemin) الذي كان سيم مطراناً على بغداد قد تأخر عن السفر الى مركزه لاسباب شتى فأضحى غيابهُ عن كنيسته خطراً مجحفاً بمصالح الدين . ففكّر في تقليد النيابة عنه الاب بيكه باشارة سفير الكرسي الرسولي في باريس وكاد يخرج فكرهُ هذا الى حيز الوجود لولا تشيّع رجل الله من قبول كلّ منصب شريف في الكنيسة فلم يشأ رؤساء الكنيسة ان يرغموهُ على الامر فانتظروا فرصة أخرى لإدراك غايتهم وهم يعلمون حقّ العلم مقدرتهُ في تدبير شؤون الطوائف الكاثوليكيّة في الشرق مع معرفته للغات الشرقيين ونفوذه عندهم

وظنّ الاب بيكه انّهُ اذا تفرّغ في وطنه للاعمال الرسوليّة يتملّص من المناصب الجليلة وشرف الاسقفيّة فانتظم في سلك بعض الكهنة الذين كانوا يطوفون المدن والقرى للإنذار والوعظ وتوزيع الاسرار فنال بينهم شهرةً عظيمة ببلاغته الغريزيّة

وخصوصاً بفضائله السامية التي كانت تحببهُ الى الجموع

وتولّى في الوقت ذاته اجابةً الى دعوة استقفهِ الرئاسةَ على دير كبير للراهبات. فاتخذ لتدبيرهنَّ كلّ الوسائل الآئلة الى تقديس نفوسهنَّ والقيام بكل واجبات دعوتهنَّ فنمَّ بعد قليل عبير فضائلهنَّ فزدنَ عدداً وفضلاً إلّا انَّ الاب بيكه لم يسلم في عملهِ هذا من معاكسة بعض الاشخاص الذين جاهروهُ بالعداوة وقذفوهُ بالشتائم فصبر على تُهَمهم وسوء معاملتهم مدّة نحو خمس سنوات كان فيها رئيساً على ذلك الدير

ولمّا كانت السنة ١٦٧٥ رأى المجمع المقدّس في رومية انَّ تعيين الاب بيكه للنيابة الرسوليّة في ما بين النهرين اصبح امرًا لازباً فاتاهُ الامر بالطاعة الى ارادة الله وقبول النيابة المنوّية وذلك ببراءة رسوليّة مؤرخة في ١٥ ك٢ من السنة ١٦٧٥ . وتعيّن لهُ في غاية تموز من السنة كرسيُّ سيزاروبوليس في مقدونية فأُطلق عليهِ اسمها شرفاً مع راتب يبلغ ٣٠٠ ريال روماني

فلم يرَ بيكه بدًّا من التسليم الى مشيئة الله مع نفورهِ من الوظائف جاعلاً كلّ ثقتهِ بذلك الذي يقوّي الضعفاء ويغني المساكين فيذلّل امامهُ ما ينتظرهُ في سبيلهِ من العقبات وضروب المشاكل واخذ يستعدّ لقبول الدرجة الاسقفيّة منتظرًا اوامر رومية لتعيين زمن سفرهِ .

الّا انّ ما جرى في تلك الاثناء من الحوادث سنة ١٦٧٦ في رومية بموت البابا اقليمس العاشر وانتخاب خلفهِ اينوشنسيوس الحادي عشر مع المشاكل التي وقعت بين الكرسي الرسولي والملك لويس الرابع عشر صرفت نظر المجمع المقدّس عن سفر بيكه فبقي مرتاباً لايعرف ما ينبغي عليهِ فعلهُ حتى اختار لهُ احدُ الآباء الكبوشيين الاب فرنسيس دي ڤورياس (Fr. de Vaureas) الذي رضي ان يرافقهُ الى ما بين النهرين وارسلهُ الى رومية ليستطلع الامور ويفيدهُ عن نيّات الحبر الاعظم . فدخل هذا الراهب على ارباب الدولة البابويّة ثم تمكّن من مواجهة إمام الاحبار فكانوا كلّهم لساناً واحداً في الثناء على بيكه وتقدّموا اليهِ بالسفر الى بغداد بعد سيامتهِ اسقفاً

فسُرَّ بيكه بهذا الجواب الصريح وقضى السنة ١٦٧٧ في تدبير كلّ امورهِ فتنزّل عن كلّ حقوقهِ في مجمول وظيفتهِ ووزّع على الفقراء والمحتاجين ما بقي في

يده من وراثة والده . وفي ١٦ ايلول من السنة ١٦٧٧ اقبل في مدينة إكس من ايدي رئيس اساقفتها الكردينال غريمالدي الدرجة الاسقفيَّة في حفلة نهاية في الرونق حضرها كثيرون من اعيان الدولة ورجوه الاكليروس واعرب هو فيها عن تواضعه واستعداده لبذل النفس والنفيس في خدمة الكنيسة . وكان عمره وقتئذٍ بالغاً السنة الثانية والخمسين

فلم يبقَ له في وطنه ما يعيقهُ عن السفر إلَّا انتظارهُ لتجهيز السفينة التي كان تقرَّر ان يركبها والتي تأخرت الى ربيع السنة ١٦٧٨ وكأنَّ تأخرهُ هذا وقع بعناية خاصَّة من الله ليحضر وفاة شقيقته زوجة المسيودي لاشمبر . فكان وجوده في فرنسة مرهماً لأوجاع قرينها . ومع اسفه الشديد على فقدها ازيد حبه لها نسي حزنهُ ليعزّي زوجها ويلهمهُ صبراً جميلاً على موتها

(التتمَّة لعدد آخر)

المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما

١٥٢٤ـ١٩٢٤

للاب جبرائيل لوقاك اليسوعي

ان التاريخ قد نظم منذ القرن السادس عشر ثلاثي فاسكو دي غاما في عداد كبار المكتشفين مع كريستوف كولمبوس وماجلان (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣١٦ـ ٣١٨) فهم الثلة النوابغ الذين بفضلهم انفتحت طرق البحار ومهَّدوا سبل المعاملات بين اقاصي العالم واوربَّة فاتى عملهم بتفاعيل ذات شأن لم يُفنها الزمان.

فلمَّا توفَّق دي غاما الى فتح طريق جديدة الى الهند مارَّة جنوبي افريقية دائرة حولها خوَّل لوطنه كنوزاً ثمينة ربحها بالتجارة مع اقاصي الشرق فبلغ خصباً ورقياً لم ينلهما غيره . وفي الوقت ذاته ضرب ضربةً أليمة على تجارة البنادقة ودولة المماليك في